سواء»، فقد نسيه الدارسون أو تناسوه، لأنّ يونس قال، عندما طلب اليه أن يقارن علمه بعلم الناس في زمنه: «**من كان في الناس، اليوم، لا يعلم إلّا علمه، لضحك به.. ولو كان فيهم أحد له ذهنهُ، ونفاذهُ، ونظرَ نظرَهم كان أعلمَ الناس**»[1].

لقد انطلقت، في بحثي، من اللغة العربية نفسها بغية بناء قاعدة لغوية منطقية، أي أنني انطلقت من «لا شعورية» العربيّ المتجسّدة في لغته، لمعرفة النظام المعرفي الذي أنتج هذه الثقافة... وهو الاتجاه الذي كانت اللغة العربية قد بدأت سلوكه، وهو الاتجاه الذي كان يمكن أن يستمر لوقيّض للغة العربية أن تستمرّ في تطورّها، في بيئتها الطبيعية، في شبه الجزيرة العربية... لكنّ الذي حدث كان قد أوقف التطوّر الطبيعيّ، وأخضع اللغة العربية، بل قواعد اللغة العربية، التي فرضت بدورها، فيما بعد، اللغة «الموحدة»، لمقاييس قد لا تكون من طينتها، نتيجة خروج العربيّ من شبه جزيرته، وانتشار لغته على مساحة واسعة جداً من الكرة الأرضية لم تكن خالية من لغات، ومن حضارات عريقة... أثّرت في اللغة العربية، كما أثّرت في عقلية المتكلّمين بها، والمنظّرين لها..

إنّ سبب انطلاقي من «اللغة العربية نفسها» بغية بناء قاعدة لغوية منطقية سببه تبنّي الدراسات اللغوية مرات عدّة، وابتداء من Herder «هردر» و Von Homboldt فون همبولد»، على

(١) أخبار النحويين البصريين. ص: ٢٦.